

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد؛

نعيش اليوم حول

## مظلّم رحمة سيدنا رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم

### أولاً: الحبيب المصطفى ﷺ نبي الرحمة

سيدنا رسول الله ﷺ هو نبي الرحمة، ونبي المرحة، فلم يكن ﷺ ممارساً للرحمة وحسب، بل ويحض عليها ويوصي بها، ويقول من لا يرحم لا يُرحم، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء!!

فهو رحمة للمؤمنين، رحمة للناس كافة، رحمة لكل العوالم، رحمة للدواب والهوام والأنعام، أرحم الناس بالناس، وأرف الناس بالناس، وإذا رحمت فأنت أب أو أم هذان في الدنيا هم الرحماء!

زكاه ربه في أكثر من موضع وبين أنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير، يقول الحق ﷻ في معرض دفاعه عن سيدنا رسول الله وفضحه للمنافقين: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ لِلَّذِينَ

آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٦١ التوبة) أي أعلموا أيها

المنافقون الذين تشيعون عن رسول الله ﷺ ما ليس فيه، وتقولون إن رسول الله ما هو إلا

أذن تسمع ولا تعقل!! كذبتهم وخسرتهم، بل هو يسمع للمسلمين والمؤمنين المخلصين، فلا

يسمع إلا الخير، والصالح، ولا يقبل بمجلس غيبة أو نائمة أو قيعة، يؤمن بالله سبحانه،

وإنما عدي الإيمان بالله بالياء والإيمان للمؤمنين باللام لأن الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا

يتعدى إلا بالياء فيقال: آمن بالله والإيمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا

يقال إلا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتم له ورحمة للذين آمنوا

منكم وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى

كذبهم بقوله إنه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه ﷺ رحمة لأنه يجري

أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ

اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يعني في الآخرة.

وفي آية أخرى: يقول الحق جلّ جلاله: ( **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧-الأنبياء)** ) ولقد كتبنا، وقد تفيد التحقيق، وكتب تعبير بالماضي على اعتبار أن الأمر أزلي، أن الأرض لله يورثها عباده أهل الصلاح والحكمة، وأولي الأبواب.

### كيف كان الحبيب المصطفى رحمة للعالمين؟!

قالوا: رحمته ﷺ شملت المؤمن والكافر، أما المؤمن فقبل هدي النبي ﷺ، فكان كالمريض الذي قبل الدواء فوافق الدواء فبرئ بحول الله، أما الكافر فكان كالأرض القيعان، رفض أمر رسول الله ﷺ، فكان كالمريض تصف له الدواء فلا يقبل به، وهذا يوافق قول الحبيب المصطفى ﷺ عن أبي موسى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( **إِنَّ مَثَلِ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيِّبَةً، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) (متفق عليه) وفي حديث آخر يقول الحبيب المصطفى ﷺ: عن جابرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجِنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِمُحْزَمِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي** رواه مسلم. فرحمة رسول الله ﷺ كالماء العذب، وكالأم الرحوم، ومن الناس من يقبل الهدى والعلم، فینبت ویزهر، ویضیء وینیر بنور وبركة ورحمة سيدنا رسول الله ﷺ، ومثل آخر كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تترك يلهث، فهو**

الرافض للدواء، المعرض عن الرحمة، المقبل على الدنيا، كأنها أمه إن أقبلت عليه فرح وأستبشر، وإن أدبرت عنه حزن واستنفر، وها هو النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يبين مظهر الرحمة في الحديث الذي رواه سيدنا جابر وأخرجه الإمام مسلم، إن مثلي ومثلكم كرجل أوقد نارا، والنار هنا رمزية ودلالة وإشارة للعلم، فهي النور، وهي الهدى للحائرين، فجعل البعض يطوف حول النار، كالجراد والحشرات والهوام، يقعن فيها، كالراعي يحوم حول الحمى يوشك أن يواقعه، وأنا أذب وادفعكم عن تلك النار، وأبين لكم، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع، يا قوم لا تتبعوا خطوات الشيطان، يا قوم لا يغرنكم الشيطان والهوى والدنيا، يا قوم تلك معالم الحلال والحرام، أذفعكم عن النار رحمة لكم، ورأفة بكم، فمن أتبع الهدى نجا، ومن ضل وأتبع هواه وقع في تلك النار فأحدروا!!

وقيل بأن رحمته للكافر أن وجوده ﷺ منع عنهم الخسف والعذاب أقرأ قول الله تعالى:

**{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.}** (الأنفال) أي

أن رسول الله ﷺ أمان للكافرين، أمان للمؤمنين ما دامت سنته باقية، وما دامت شرعته ومنهجه، فإن ضلوا عن منهج سيدنا رسول الله ﷺ ابتلاههم الله بالفتن والبلاء، حتى ترى الولد يقتل والده، والأم تأكل ولدها، والبنت تقتل أمها، والوالد يقتل ولده، فتن كقطع الليل المظلم!! فالأمان والنجاة وباب الرحمة، في التمسك بشرع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه بين أن أعظم هدية ومنحة للبشرية إرسال خير البرية، إذ يقول

وهو أصدق القائلين: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)**

(٥٨ يونس) ويقول سبحانه **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ**

**رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**

(المائدة - ١٥) وأختلف أهل التأويل في النور، فقيل يعود لكتاب الله، وقيل يعود لسيدنا

رسول الله ﷺ، لعدم التكرار، فالعطف يقتضي المغايرة!! والله در القائل:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ

والله سبحانه زكاه، ورباه، وعلاه، وزكى جليسه، وزكى أمته، فقال سبحانه: (لَقَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (١٢٨)

ويقول سبحانه: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣ - الأحزاب)

وفي الحديث الذي يثبت الشفاعة والتوسل بجاه سيدنا رسول الله ﷺ وهو حديث

صحيح أخرجه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما: عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِبَ

الْبَصَرَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ،

وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: فَادْعُهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ

وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ

بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ» (سنن الترمذي بسند صحيح)

ويقول هو عن نفسه ﷺ عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ،

وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ (صحيح مسلم) فقله أنا مُحَمَّدُ أي كثير الحمد، وأحمد فلا أحمد من رسول الله

ﷺ، فهو الحامد وسيد الحامدين، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، وأنا المقفي والخاتم فلا

نبي بعد، وأقتفى أثر من كان من قبلي فالدين عند الله واحد، وكله الإسلام، وأنا الحاشر

يحشر الناس على إثري، فأنا أول من تنشق عن الأرض يوم القيامة، ونبي التوبة، كثير

الأوبة إلى الله، ونبي الرحمة، فالله جعلني رحمة للعالم كلها!! والله در القائل:

يا سيدي يا رسول الله آلمنا أن قام غر بدار الكفر عاداك - و غيره قام في حقد و في

أسف بالظلم و الزور و العدوان أذاك - هذا و ذاك يرومان الدمار لنا لا تبقي يا رب لا هذا و لا ذاك - كنا أعز عباد الله قاطبة كنا أجل الوري لما أطعناك - لكن أمتنا يا ويح أمتنا قد ضيعوا في زمان الضعف مسراك - كم أهدروا قيما ! كم ضيعوا شيما ! رحماك مما جنوه اليوم رحماك - قد فرطت أمتي في دينها حقبا فكيف بالله يوم الدين نلتقاك ! يا من أسأت بحقد في مشفعنا شلت مدي الدهر و التاريخ كفاك - كيف اجترأت علي خير الوري سفها قد بتت بالخزي ظلاما و أفاك - إن الرسول لنور الكون أجمعه لكن تعامت عن الأنوار

### صور من مظاهر رحمته ﷺ:

كان ﷺ رحمة للكبير والصغير، رأينا رحمته بأهله، كما ذكرنا من قبل، وفي الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن هشام، عن أبيه، قال: قيل لعائشة: **مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: " كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ: يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ "** ( مسند أحمد بسند صحيح ) ورأينا كذلك مظاهر رحمته مع أصحابه، يعود مريضهم، ويعين المسكين، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وينصح لهم، ويحتمل منهم، ويصبر عليهم، ويناديهم بأحب الأسماء إليهم، وقد تعدت مواقف رحمته صلى الله عليه وسلم، أهله وإخوانه، وصحبه، إلى الأطفال وإلى البهائم، والأنعام، بل وحتى المخالف في الفكر والعقيدة والمنهج!!

فكان ﷺ يجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما على كتفيه ويصلي بهما، عن عبد الله بن شداد، عن أبيه قال: **خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَيْنِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَاهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا**

الصَّبِيِّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطْلَتْهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ:

«كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ» ( سنن

النسائي واللفظ له، ومسند أحمد بسند صحيح ) أي جعلني كالراحلة، وهذا من باب

رحمته ﷺ، ومن رحمته ﷺ أنه كان يعجل بالصلاة إذا سمع صوت بكاء طفل رحمة له، عَنِ

أَنَسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا،

فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَّجَاوَزُ فِي صَلَاتِي، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمَّهِ مِنْ بُكَائِهِ " ( مسند

أحمد بسند صحيح) وكان ﷺ يعود الأنصار ويلعب أطفالهم ويمزحهم، ورأينا كيف أنه

أردف ابن عباس خلفه، ودعا له، وأوصاه يا غلام الا أعلمك كلمات.. الحديث.

وكان من مظاهر رحمته ﷺ حرصه على اليتيم، فالحرص على اليتيم أشد من الطفل

العادي، لأن اليتيم وصية الله لرسول الله ﷺ ألم تسمع لقول الله: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (

الضحى ٩) وقوله ﷻ: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ( - النساء ١٠ )

أتى رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه، قال رسول الله: "أَحِبُّ أَنْ يَلِينَنَّ قَلْبُكَ

وَتُدْرِكَ حَاجَتِكَ؟ اِرْحَمِ الْيَتِيمَ، وَاْمْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ يَلِينَنَّ قَلْبُكَ، وَتُدْرِكَ

حَاجَتِكَ" ( الطبراني بسند حسن)

ويحذر رسول الله من ظلم اليتامى، أو استغلال ضعفهم، وأكل أموالهم، فيقول: "اجْتَنِبُوا

السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ... (متفق عليه)

ومن مظاهر رحمته ﷺ رحمته بالمخالف ففكر ومنهجاً!!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ إِنْ لَمْ  
أُبْعَثْ لَعْنَا وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً. ( صحيح مسلم ) وكان يقول اللهم أهد قومي... عَنْ أَبِي  
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ  
دَوْسًا قَدْ هَلَكْتَ عَصْتِ وَأَبْتِ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» (   
صحيح البخاري ) وكان إذا أمر على سرية يأمرهم بتقوى الله ويقول لهم اغزوا باسم الله  
في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا  
وليداً... ( الحديث في مسند أحمد وصحيح مسلم ) ولا تقطعوا شجرا مثمرا... وغيرها من الوصايا التي تبرهن  
على رحمته ﷺ مع المخالف له، ونهى عن النهي والمثلة - من النهب وهو الاستيلاء عنوة  
وقهرا، والمثلة هي التنكيل. وفي وصية أبي بكر لأسامة قال: «لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا  
تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا، ولا  
تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبجوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا، إلا لمأكلة، وسوف  
تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (أي الرهبان) فدعوهم لما فرغوا أنفسهم له»  
والحديث عن مظاهر رحمة رسول الله ﷺ يطول

## من لا يرحم لا يرحم

هذه قاعدة أصولية، أن الجزاء من جنس العمل، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يجرى به،  
ومن يعمل مثقال ذرة من شر مجزي به، ومن منع الرحمة، حرم الرحمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ  
الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ  
الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا  
يُرْحَمُ» ( متفق عليه ) فهذا بيان من سيدنا رسول الله ﷺ، كان يقبل فاطمة رضي الله عنها،

ويقبل الحسينين، ويداعب الأطفال، ويرحم الصغير والكبير، وعن امنا عائشة رضي الله عنها: **جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تُقبَلون الصِّبيان؟ فما نُقبَلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أوأمَلِكُ لك أن نزعَ الله من قلبك الرَّحمة!** (البخاري) وعن أبي مسعود البدري: قال كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسَّوطِ، فسَمِعْتُ صوتًا من خلفي، **«اعلم، أبا مسعود»**، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: **فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود»**، قال: **فألقيت السَّوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»**، قال: **فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا** (صحيح مسلم) ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله **«لا تُنزع الرحمة إلا من شقي»** (سنن الترمذي بسند حسن) ويقول المعصوم صلى الله عليه وآله **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**. (صحيح مسلم) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: **((أتيت رسول الله ' مع أبي وعلي قميص أصفر قال رسول الله ' سنه سنه (حسنة وجميلة) قال عبد الله وهي بالحبيبية حسنة قالت فذهبت العب بخاتم النبوة فزبرني (دفعني بقوة) أبي قال رسول الله ' دعها ثم قال رسول الله ' أبلي وأخلي (دعاء بطول العمر) ثم أبلي وأخلي ثم أبلي وأخلي))** (صحيح البخاري) وهذا يدلنا على رفق ولين وحلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يدعو لها بطول العمر، ويدعها تلعب وتداعب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا دأبه صلى الله عليه وآله.

كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وآله قال: **«... أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهته هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله»**، أخرجه الترمذي وابن سعد والبيهقي في شرح السنة والبيهقي في شعب الأيمان. واليك هذه الحكاية.. كان هناك طفل صغير في المدينة اسمه:

عمير، كان دائما معه عصفور يلعب به.. النبي ﷺ سَمِيَ هذا العصفور: النغير فكان النبي ﷺ كلما رأى عميرا يقول له: " يا عمير ما فعل النغير؟" وفي يوم من الأيام رأى النبي صلى الله عليه وسلم عميرا يبكي فقال: " ما يبكيك يا عمير" فقال: يا رسول الله لقد مات النغير. فجلس النبي ﷺ ساعة يلاعبه.. فمرّ الصحابة فوجدوا النبي ﷺ يلاعب عميرا، فنظر اليهم النبي ﷺ وقال: " مات النغير فأردت أن ألاعب العمير". ( أنظر القصة بطولها في البخاري ومسند الإمام أحمد)

وهذا غُلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النَّبيَّ - ﷺ - فَمَرِضَ فَاتَاهُ النَّبِيُّ - ﷺ - يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : "أَسْلِمَ" فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ .فَقَالَ : لَهُ أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ - ﷺ - فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ! (البخاري)

وما أحوجنا إلى التراحم كما قال النبي ﷺ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُم مِّنَ السَّمَاءِ» ( الترمذي صحيح) ما أحوجنا أن نعرف أنه بعيد عن منهج الله من بات شعبان وجاره بجواره جائع، كما قال أبو الدرداء أعجب ممن يبكي على أخيه مر البكاء بعد موته وقد منعه درهمه وديناره!!

ما أحوج أن نتراحم فيما بيننا بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه، والجار وجاره، والصاحب وصاحبه، والمسافر ورفيقه، والزميل وزميله، والرجل وزوجه، والزوجة وزوجها!

إن المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه، من كلامه، من غمزه، من لمزه، من رحمهم بلسانه، من رحمهم من تتبع عوارثهم، وزلاتهم، كما قال المعصوم ﷺ **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته** ( أبو داود والترمذي بسند صحيح) الأمة بحاجة لأن يرحم بعضها بعضا، وأن يعطف كبيرها على صغيرها، ويوقر

صغيرها كبيرها، وأن يعرف العوام حق العالم، وأن نفعل التراحم والتزاور إن كنا نحب الحبيب المصطفى ﷺ فهو الذي يباهي بنا بقوله ﷺ: **مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم . مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** (صحيح البخاري)

يقول بعض الصالحين: أعرض عن الجاهلين وقم بقضاء حوائج اليتامي وأكرمهم وأكثر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء ، وبادر لخدمة الأرامل ، وارحم ترحم وكن مع الله تجد الله معك واجعل الإخلاص رفيقك في سائر الأقوال والأفعال واجتهد بهداية الخلق لطريق الحق وعن قتادة، قال: بلغنا أنه مكتوب في التوراة: ابن آدم! ارحم تُرحم، إنه من لا يرحم لا يُرحم، كيف ترجو أن أرحمك وأنت لا ترحم عبادي!؟

يا بني : ارحم ترحم، وقل خيرا تذكر بخير، وأعلم أنه كما تدين تدان، ولك عيوب وللناس أعين، ومن حرم الناس الرحمة حرمه الله المنحة، ومن كان الله كان الله معه، ومن ستر مسلما ستره الله، ومن كظم غيظه وهو قادر على أن يمضيه ملاً الله قلبه رجاء وحباً، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عن كربة من كربات يوم القيامة.

نسأل الله أن يرحمنا وأن يهذبنا وأن يخلقنا بأخلاق رسول الله ﷺ

كتبه الفقير إلى مولاه د محمد سالم الصعيدي الأزهرى الشافعي

الأستاذ المشارك بالجامع الأزهر الأنور